



معاقر لإعداد القريس يوحنا المعمدان



القصة تادرس يعقوب ملطي

معاهد لإعداد القديس يوحنا المعمدان

هل من بين المولودين من النساء من هو أعظم منه؟

كتب القديس مار يعقوب السروجي عن القديس يوحنا المعمدان، جاء فيه¹:

❖ الكلام عن يوحنا مهيب جدًا، وليس له جمال واحد حتى نذكره، بل هو كثير الجمال.

كيف أجرؤ على وصف هذا الجمال؟ فالكلمة تتعطل بسبب كثرة جماله.

بأية كلمات وميامر أكرز بهذا العظيم؟ فاللسان يعجز ويرتجف من قصته.

هل أدعوه نبيًا؟ إن خبره مُختلط مع الرسل؛ هل اعتبره رسولاً؟ هوذا دوره موضوع بين الأنبياء؟

إنه رئيس الكهنة الذي به كمل واستراح الناموس، وبعده أصبح لاويًا دون ممارسة الكهنوت.

هذا هو المولود من بنت هارون جسديًا، ويُصعد ذبائح روحية مثل ملكي صادق (تك 14: 18).

هذا هو المختون حسب الناموس من قِبَل العهد القديم، وها هو يكشف عن الختان بغير أيادٍ في معمودية العهد الجديد.

هذا الذي صار مثل الوسيط للعهدين، فختم الواحد وبدأ بالآخر لأنه كان صادقًا...

هذا الذي قَبِل الروح القدس في بطن أمه، وكرز هناك بحَبَل المباركة (العذراء مريم).

هذا المحبوب الذي رقص وهو جنين في بطن أمه أمام الكائن بلاهوته منذ الأزل الذي أتى إلى بطن العذراء...

¹ ميمر 96 على قطع رأس يوحنا المعمدان، وميمر 97 (على مدائح يوحنا المعمدان (راجع الأب بول بيجان ترجمة دكتور بهنام سوني).

هذا الذي رفس أمه برقصه، لتبارك الأم الشابا التي كانت تحمل الجنين العتيق الأيام.
هذا الذي بدأ بالكراسة من البطن، ولم يتوقف إلى أن قال له السيف: اسكت.

هذا الذي ركض إلى النهر مثل الصياد، وألقى شبكته هناك، وملاها صيداً روحياً.

هذا الذي صار صوتاً في القفر، وخرج ليمهد الدرب للشعوب ليأتوا عند الله.

هذا الذي توصل أن يلمس الابن ويسمع الأب ويرى الروح ويكرز بالثالوث القدوس...

الكلمة الإلهي قد رأى جماله وصوره بألوان كلمته وكتب عنه: لا يوجد بين المولودين أعظم منه (مت 11: 11).

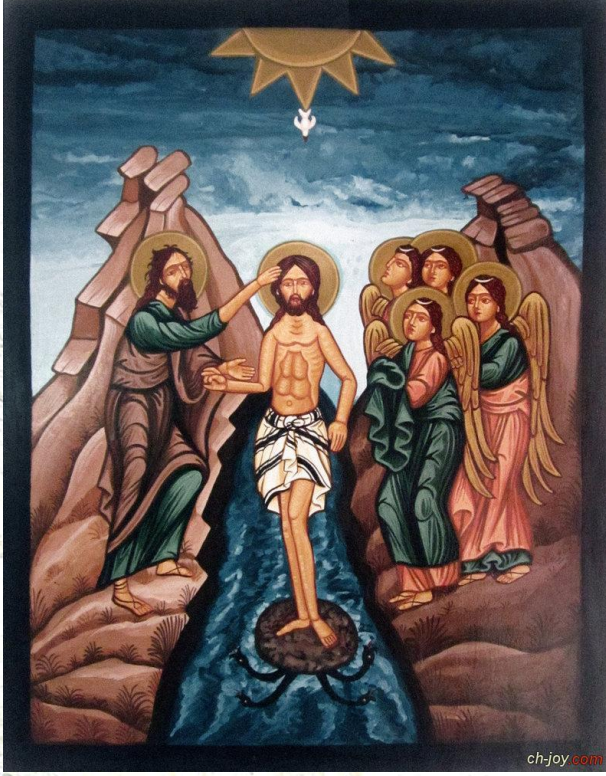
هل التحق بمعاهد تهيئه للخدمة؟

1. المعهد الأول، معهد النبوات الإلهية: قبل خلقه يوحنا المعمدان وهب الله ملاخي النبي أن يعلن بروح النبوة على لسان الرب: " هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي. ويأتي بغة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون به. هوذا يأتي، قال رب الجنود" (ملا 3: 1).

الله بسابق معرفته اختار يوحنا قبل خلقه الذي يهيئ الطريق أمام كلمة الله المتجسد، ودعاه ملاكه. إنه قادم ليعلن الرسالة الإلهية التي استلمها من السماء وليس من البشر. لم يبدأ يوحنا التدريب في مدرسة بشرية، إنما من خلال النبوات أدركنا أن إرساليته جاءت من قبل الرب نفسه. هذا هو المعهد الخفي الذي إن صح التعبير لحق به يوحنا خلال سبق معرفة الله له.



هذا المعهد يدعو كل مؤمن أن يرفع قلبه لله، ويسأله: "يا فاحص القلوب اكشف لي طريق خدمتي اللائقة بي، فلست أنتظر دعوة بشرية للتكريس أو الخدمة لحساب ملكوتك بطريق أو آخر.

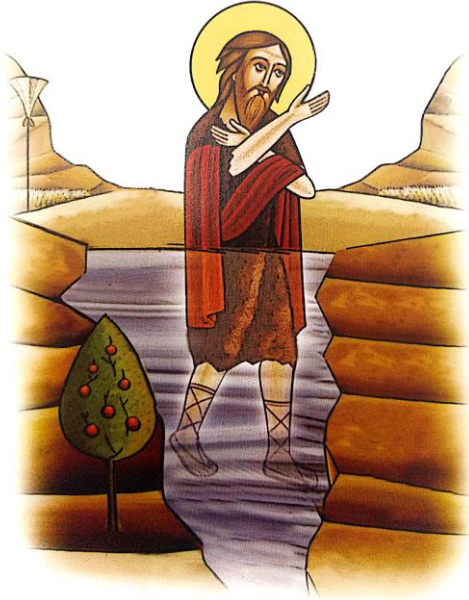


لا تسمح لي أن أرتبك في اختيار طريق حياتي: هل أمارس الشهادة لك وأنا أمارس عملي في العالم وأقيم عائلة مقدسة، أم أتفرغ لحياة البتولية أو الخدمة؟ هل أشهد لإنجيلك في داخل الوطن الذي أعيش فيه أم تدعوني لهذا العمل في بلد آخر؟! هل أتفرغ تمامًا للدراسة اللاهوتية أم أبذل كل جهدي في العمل الرعوي، أو في حياة التأمل والوحدة في البرية الخ؟

مسكين الإنسان الذي يتكل على اختياره بواسطة إنسان مهما كان دوره الكنسي أو الاعتماد على قراره الشخصي دون الاتكاء على صدر المخلص.

٢. **معهد البيت المقدس:** المدرسة الثانية التي كان لها دورها في حياة القديس يوحنا المعمدان قبل ميلاده بسنوات كثيرة هي أسرته المكوّنة من أبويه البارين المطوبين زكريا الكاهن واليصابات. ولعلهما منذ زواجهما كانا يصليان من كل قلبيهما أن يهبهما ابنًا مقدسًا يتسلم الكهنوت من والديه ويسمو فيه ليحقق ما لم يحققه والداه. استجاب الربّ لهما ووهبهما ملاكه، هذا الذي يهين الطريق للمسيح مخلص العالم.

هكذا يقدم لنا هذان الأبوان نموذجًا، ليس فقط للمتزوجين بل وحتى للبتوليين - أيًا كان عمرهم - أن يقدس الله الجيل الجديد لا ليصير على المستوى الروحي للجيل الحالي، بل أن يلهب روح الله قلوبهم فيتمتعوا بالتعرف على الأسرار الإلهية والشهادة لإنجيل المسيح والعمل على التجديد والبنيان لملكوت الله. المؤمن الحيّ يصلي ويعمل ليكون الجيل القادم أكثر قداسة وورعًا ومعرفة وخدمة من الجيل الحاضر.



Scanned with CamScanner

٣. مدرسة التبكير في اللقاء مع الرب: التقى يعقوب بن إسحق بالرب وهو جنين في بطن أمه، فقبل عنه: "أحببت يعقوب" (رو ٩: ١٣). والتقى يوحنا المعمدان وهو جنين فركض مبتهجا عندما دخلت القديسة مريم في بيت الیصابات وزكريا الكاهن، بل وقام بالكراسة لأمه، فقالت: "من أين لي أن تأتي أم ربي إلي؟" (لو ١: ٤٣).

لم ينتظر الجنين يوحنا المعمدان يوم ولادته، إنما شارك السمائيين فرحهم بالرب فركض مبتهجا وشهد لوالدته عن المسيا المتأنس وهو في بطن العذراء مريم قبل أن يتعلم يوحنا لغة بشرية ينطق بها. فلماذا لا نسرع نحن بالتمتع بالشركة مع السمائيين بالصلاة والتسبيح، والشهادة لإنجيل المسيح منذ طفولتنا؟

لقد حذرنا القديس مار يعقوب من تأجيل اللقاء مع الله من يوم إلى يوم، لئلا نصير ملهى في يد عدو الخير يلعب بنا بالتأجيل المستمر لنفقد حرارة الروح!

٤. معهد البرية المقدسة: تدرب الرضيع يوحنا المعمدان في البرية المقدسة على أيدي الملائكة قرابة ثلاثين عامًا، إلى يوم خروجه للخدمة في نهر الأردن. لم يخفيه والده الكاهن في مكان في هيكل الرب أو أحد ملحقاته. ولم يلتق يوحنا بأحد اللاويين أو الكهنة ليقوموا بتعليمه أسرار العهد القديم بما يتضمنه من وصايا الناموس وطقوس العبادة وشرح النبوات، إنما هذا كله تمتع به خلال تربيته في البرية المقدسة.

لا نعجب إن كانت مريم المصرية التي عاشت منذ صباها في الفساد وسلمت جسدها وفكرها وعواطفها للزنا والرجاسات. لكنها إذ تابت في أورشليم لم ترجع إلى مصر لتجلس مع أحد المعلمين، بل انطلقت إلى البرية لتجاهد ضد إبليس وحيله وقواته بالرب يسوع مخلص العالم. وكانت المفاجأة للراهب القس سوزيما الذي التقى به أنه سمعها تتكلم بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس لم تتعلمها من كتاب ولا سمعتها من إنسان.



ما أحوجنا إلى جلسات هادئة مع الربّ وانطلاق نفوسها بالهيام في محبته، والإنصات إلى صوته في داخلنا، ومناجاته طالبين أن يشرق بنور وجهه علينا، ويكشف لنا، ويهيئنا للتناول من جسده بالمقدس ودمه الكريم بفرح ومخافة إلهية.

٥. **معهد اللقاء مع الثالوث القدوس:** من يستطيع أن يصور لنا موقفه وهو يرى السماء مفتوحة ويسمع صوت الأب ويرى الروح القدس حالاً على شكل حمامة ويضع يده على رأس سيده الذي قال عنه انه لم يكن مستحقاً أن يحلّ سيور حذائه (مر ١: ٧). إنه لقاء مفرح لا يمكن للغة بشرية أن تعبر عنه.

المدرسة الحقيقية لإعداد المؤمن أو الخادم هي اللقاء الحيّ مع الثالوث القدوس ليتمتع بنعمته فيتقدس فكره وقلبه وعواطفه وجسده وينمو في المعرفة الإلهية ويصير "إنسان الله".



القمص تادرس يعقوب ملطي

عيد استشهاد القديس يوحنا المعمدان

2 توت 1737 ش - 12 سبتمبر 2020 م

لقراءة المزيد، اضغط [هنا لتحميل كتاب](#)

ملاك البرية المقدسة

(القديس يوحنا المعمدان في فكر آباء الكنيسة الأولى)

